ما الدين ؟

أما الدين فهو مصطلح أيضا له معان ودلالات شتى، فبمتقضى معناه اللغوي في المعاجم والقواميس اللغوية يمكن حصر معانيه في:

الطاعة، والخضوع ، والنقياد والجزاء، والمكافأة ، وهو أيضا «العادة، والحال، والسيرة، والسياسة، والرأي والحكم .إذ يتضح من كافة التعريفات اللغوية أن «الدين في اللغة هو العادة والحالة التي يكون عليها الإنسان مطيعا وذليلا أمام دائنه، ينتظر الجزاء منه بحسب عمله.

إن الدين إذن حالة المرء إزاء شأن ما، ولا شك أن هذا المعنى بكل اشتقاقاته يجعلنا أمام طرفين؛ طرف أعلى وطرف أدنى، والدين هو حالة للطرف الأدنى الذي هو محتاج للطرف الأعلى. ومن هنا ارتبط الدين بالستسلام والطاعة للمعبود، كما يستسلم المرء لمن يدينه، ويستكين طاعة له وذل في الطلب. أما في اللغات الغربية الإنجليزية والفرنسية فكلمة Religionمشتقة عن اللاتينية ،Religio وهي تعني بشكل عام الإحساس المصحوب بخوف أو تأنيب ضمير، بواجب ما تجاه الآلهة.

ولذلك يمكننا القول إن الدين يعني وبشكل متبادل الإيمان، ويعرف عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بما فوق الطبيعة المقدس والإلهي. ولا يكون عند الكثيرين إلا وحيا من الله إلى أنبيائه الذين اختارهم واصطفاهم من عباده المخلصين.

الدين والملة والشريعة

كما يرى مراد وهبة أن الدين مرادف للملة، مستندا إلى قول الفارابي في كتاب الملة: «الدين والملة يكادان يكونان اسمين مترادفين . وإذا كان محمد عثمان الخشت يوافق هذا الرأي مستندا إلى قول الرازي في «مختار الصحاح «الملة: الدين والشريعة، إلا أنه يرى أنهما يختلفان حسب السياق، وطريقة الستعمال، ووجهة النظر التي ننظر منها إلى كل منهما .ويوضح جميل صليبا الفرق بين الدين، والملة، والمذهب بوضوح تام، فيقول: «إن الشريعة من حيث هي مطاعة تسمى دينا، ومن حيث إنها جامعة تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا. وقيل في الفرق بين الدين، والملة، والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد. وكثيرا ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض. ولهذا قيل أنها متحدة بالذات، ومتغايرة بالعتبار. ويطلق لفظ الدين أيضا على الشريعة، وهي السنة، أي ما شرعه الله لعباده من السنن والأحكام

تعريفه في الاصطلاح

في حين يعرفه أهل الا صطلاح بتعريفات متنوعة، تركز في مجملها على أنه وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات. فالدين: «مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها مجموعة معينة، يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء، أساسه الوجدان، وللعقل فيه مجال.

الدين إذا هو رسالة من الله تعالى إلى البشرية بواسطة الرسل، يدعو البشر فيها إلى الإيمان بوحدانيته، ومعرفة قدرته وهيمنته على الوجود وعظمته اللامتناهية، وتنبههم إلى العلامات الدالة على وجوده في الظواهر الكونية، وتدعوهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا يتصف أي دين بما يأتي:

أ -الاعتقاد بمطلق والتعلق به

ب -ممارسة شعائر وطقوس معينة

وقد توزعت هذه المعاني السابقة للدين عند المسلمين، فقد عرفه الجرجاني في «التعريفات. بالقول: - الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول، كما عرّفه ابن كمال بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل.

وقد تعددت معاني الدين من عصر إلى آخر كما تعددت معاني الفلسفة من عصر إلى آخر. وقد ركز الفلاسفة المحدثون على عدة معان للدين منها:

إنه جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله، وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره.

إن الدين هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم أو الإيمان بالجمال أو الإيمان بالإنسانية،

ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبد الذي يحب خالقه ويعمل بما شرعه على غيره، ولا فضل لأحدهما على الآخر إلا بما يتصف به من تجرد، وحب، وإخلاص، وإنكار للذات.

إن الدين مؤسسة اجتماعية تضم أفرادا يتحلون بالصفات الآتية: قبولهم بعض الأحكام المشتركة وقيامهم ببعض الشعائر، وإيمانهم بقيم مطلقة وحرصهم على هذا الإيمان وحفظه ،واعتقادهم أن الإنسان متصل بقوى روحية أعلى منه، مفارقة لهذا العالم أو سارية فيه، كثيرة أو موحدة.

وقد أورد الفلاسفة الغربيون للدين تعريفات شتى نكتفي بذكر أشهرها، حيث لا يتسع المجال للخوض في متاهاتها وتفاصيلها:

فيقول سيسرون Ciceron في كتابه «عن القوانين: «إن الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله. ويقول شلايرماخر .F. E ، في كتاب «مقالات عن - D. Schleiermacher الديانة: «قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة.

ويقول الأب شاتل ، .A Chatel في كتاب «قانون الإنسانية: «الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه .

أما الدين عند كانط فهو: «معرفة وإدراك كل الواجبات كما لو كانت أوامر إلهية . في حين يرى هيجل أن الدين سابق للفلسفة، ولا غنى عنه حتى لو لحقت به الفلسفة؛ فالفلسفة مقصورة على فئة قليلة من الناس، كما أنها لا هي جذابة ولا معقولة عند معظم الناس في صورتها المجردة، أما الدين

- فهو على العكس - يجذب خيال الجماهير ويفتنها ويعرض لها حقائق عميقة عن الكون ومكانهم فيه في صورة جذابة. كما أن الدين يخدم أغراض النظام الأخلاقي والسياسي، غير أن الدين والتكوين السياسي لا بد أن يكونا في تناغم وانسجام، ما دام ما يصوره الإنسان من قوانين ليس له سوى تأثير ضئيل على الضمير الديني .

ويقول هربرت سبنسر Spencer .H ، في كتاب «المبادئ الأولى: «الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية، ذاك هو العنصر الرئيسي في الدين.

ويعرف تايلور A. E. Taylor - الدين، في كتابه «المدنيات البدائية، بأنه «الإيمان بقوى روحية. بينما يرى ماكس مولر M. Muller في كتاب «نشأة الدين ونموه: «أن الدين هو محاولة تصور ما ل يمكن تصوره، هو التعبير عما لا يمكن التعبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائي، هو حب الله.

في حين أن الدين عند فويرباخ Feuerbach هو «نقل الإنسان آماله وأمانيه إلى كائن ذي درجة عليا سماه الله؛ ولذا رأى أنه عقبة في سبيل تقدم الإنسان ماديا، ومعنويا، واجتماعيا، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يتحرر من سلطانه . وإلى قريب من هذا يذهب كارل ماركس K. Marx فيرى أن «الدين تأوه كائن أضناه البؤس، وهو فؤاد عالم ل فؤاد له، وروح عصر روح له، إنه أفيون الشعوب .

وهو عند سيجموند فرويد .S Freud - العصاب الستحواذي الكلي الإنسانية، وينشأ هذا العصاب مثل عصاب الطفل عن عقدة أوديب، أي عن علاقة الابن بأبيه... وسوف تتجاوز الإنسانية هذه المرحلة العصابية، تماما مثلما يتجاوزها معظم الأطفال في كبرهم ويشفون من عصاب مماثل.

أما إميل دوركايم E. Durkheim- فيرى أن «الدين مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس، ولها جانبان أحدهما روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والآخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات .

في حين يرى ولتر ستيس W. Stess- أن الدين هو تعطش النفس إلى المستحيل، إلى ما هو بعيد المنال،

إلى ما يفوق التصور... فالدين ينشد اللامتناهي؛ واللامتناهي بحكم تعريفه مستحيل، أو بعيد المنال. فهو إذن، بحكم تعريفه، ما لا سبيل إلى بلوغه أبدا... إن الدين هو النزوع نحو قطع العلائق مع الكينونة والوجود معا، أو هو الرغبة في تجاوز الوجود نحو ذلك العدم الذي يكمن فيه النور الأعظم. إنه الرغبة في التحرر تماما من أغلال الكينونة. والحق أن كل كينونة إنما هي قيد، إن لم نقل أن الوجود نفسه قيد. فليس وجودك سوى ارتباطك بما أنت كائنه، أو تقيدك بصميم كينونتك. أما الدين فهو التعطش إلى اللاوجود الذي هو مع ذلك موجود! .والدين عند إدجار شيفلد برايتمان. هو «عبادة لقوة سامية عليا تكون مصدرا للقيم.

ويقف محمد عبد الله دراز عند ثلاثة تعريفات يرى أنها جديرة بالوقوف عندها، فيرى أن تعريف روبرت سبنسر هو أرقى صورة عرفتها الفلسفة للدين؛ إذ إن العنصر الأصيل في الدين عنده هو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية. فهذه اللانهائية إن صح أنها عقيدة كبار الفلاسفة والعلماء، فإنها لا تنطبق بحال مع عقيدة المشبهين أو المجسمين ولا القائلين بأن ربهم في السماء، وهذا يقربهم إلى الدين الصحيح بما هو دين. بينما يرى أن تعريف ماكس مولر هو أضيق هذه التعريفات وأبعدها عن معنى الدين الصحيح؛ إذ إن تعريفه للدين على إنه «تصور ما لا يمكن تصوره، لا ينطبق إلا على نوع من الأديان تفصل بين العقيدة والعقل فصلا تاما، ويفرض على معتنقيه أن يؤمنوا بما لا تقبله عقولهم، ولا تتصوره أذهانهم. أما التعريف الثالث الذي يقف عنده دراز هو ذاك التعريف الذي يشترك فيه دوركايم ورياك وفويرباخ وماركس فجميعهم يستبعد وجود الإله بحجة أن في الشرق أديانا، مثل البوذية والكونفوشيوسية، تقوم على أساس أخلاقي بحت، خال من تأليه كائن ما، وأن الذين يؤلهون «بوذا و«جينا إنما هم مبتدعة، خارجون عن أصول دينهم الحقيقي القديم وهكذا تختلف رؤية كل فيلسوف في تصوره لمعنى الدين حسب طبيعة اتجاهه ونسقه المعرفي. كما يتضح لنا أن حقيقة الدين لا يكفي في تحديدها فكرة الاعتقاد في الكائن المطلق أو فكرة الخضوع له فقط، بل تحتاج إلى تحديدات أخرى لإبراز عناصرها الجوهرية.